الشاعر أنور العطّار
دراسة موجزة عنه وعن ديوانه الأول (ظلال الأيّام)

لإبن الشاعر: هاني أنور العطّار

غَفِلَتْ عنّيَ المَنُونُ فغنيـ   ـتُ، ولحنُ الحياة لحنٌ قصيرُ
وبِنَفسي قِيثَارَةٌ تتشكّى   وأنا الدَمعُ والأَسَى والشُعورُ

بهذين البيتين أبدأ هذه الدراسة الأدبية الموجزة عن الشاعر "أنور العطّار" ، و عن ديوانه الأول (ظلال الأيّام)، والذي صدر بدمشق سنة 1367هـ الموافق لـ 1948 م، فهذان البيتان الوجدانيان يعطيان بحق صورة صادقة عن شاعرنا، الذي عاش في هذه الدنيا قرابة التسعة والخمسين عاماً، يحمل شكواه ومآسيه ومشاعره الجيّاشة التي كانت دوماً صدى لمآسي أمته وآلامها ينقلها جميعها في قوالب شعرية منوّعة تلامس حشاشة القلوب، وتعتلج في النفوس بالكثير من المشاعر ... وبهما قدم لديوانه الأول (ظلال الأيام)، واصفاً فيهما ما يختلج في نفسه من مشاعر الأسى، مشبهاً إياها بالقيثارة التي يكتنزها في أعماقه، التي غنى معها لحن الحياة القصير في غفلة من المنون ... وسوف نأتي بأسباب هذا الحزن الذي كان يعتمل في أعماق هذا الشاعر الموهوب في عرضنا لهذه الدراسة عنه ...

«في شهر يوليو/تموز من عام 1392هـ الموافق لـ 1972م خبت شعلة شاعر رقيق، مرّ فوق الأرض كنسائم الربيع، وكأنه طيف عابر فما درى بموته أحد ، وربما كان مؤملاً له أن يملأ بحياته الدنيا أو يشغل بها الناس» بهذه الكلمات الرقيقة نعاه صديقه الأديب والصحفي "عبد الغني العطري" ...

كان (أنور العطار) من الشعراء المرهفين الذين عاشوا لفنهم، وما سخروا فنهم لمطمع أو جاه أو مال، فقد آثر العزلة واطمأن لأحلامه، فكانت حياته كالنهر الهادئ يمر به العابر فيُسحره سيره البطيء، وهو يروي الأرض التي ينساب فيها ويحيلها خضراء بهية، و يغدق الحبَّ والعطاء على من حوله من الناس.

وليس من الغلو القول إن (أنور العطار)رائد التجديد الشعري في سورية، فقبله كان الشعر حبيس التعابير الموروثة، والأطر التقليدية المتداولة وكانت ظلال الجمود والرتابة تخيّم على القصيدة فتخنق مشاعر الشاعر ولا يستطيع أن يتحرر من أقفاصها.

في عام 1331هـ الموافق لـ 1913م ولد (أنور العطّار) في مدينة "بعلبك" وبعد ذلك انتقلت أسرته إلى دمشق، و في عام ولادته أعلن الدستور العثماني، وبدأت تباشير الحركة القومية العربية تلوح في الأفق السياسي، وعاش (أنور) طفولته وهو يسمع ويشهد صور التعامل القومي العربي لإزاحة طغيان الاستبداد العثماني عن العالم العربي، وكان في الثانية عشرة من عمره حين بدأت موجة الاستعمار الغربي تطوق عنق بلده، وتبدد آمال العرب وبداية عودة الغرب ... ويدخل (العطّار) مكتب عنبر (وهو المدرسة الثانوية الوحيدة آنذاك في دمشق) ويتلقى تعليمه الثانوي من هذه المدرسة التي تخرّج منها صفوة رجال العهد الوطني في القرن الماضي من كتّاب ووزراء وصحفيين وشعراء، ويُتاح له أن يجمع بين الثقافتين العربية لغته الأم، والفرنسية التي فرضتها مناهج الإنتداب الفرنسي على سورية آنذك، ثم ينتسب إلى معهد دار المعلمين ويتخرج منه ليمارس التعليم في قرية (منين) وهي إحدى قرى (القلمون) الأدنى، وهي قرية هادئة مطمئنة تتصف بسحر طبيعتها و وداعة فلاحيها، فطبعت هذه الحياة القروية البسيطة الهانئة شاعرنا بطوابع كثيرة شكلت و صقلت شخصيته اليافعة ...

... كما تأثر (العطّار) بثقافة أساتذته الأدبية ومنهم: الشاعر (محمد البزم) واللغوي (عبد القادر المبارك) والأديب (سليم الجندي) ... وغيرهم ويبدو أن دراسته الثانوية قد مكنته أن يطلع على بعض أعلام الأدب الفرنسي من أمثال (لامارتين) و (ألفرد دو موسيه) و(موليير) و(راسين) ، فترجم عنهم الكثير ...

كان شعر (العطّار) أقرب إلى الشعراء الإبداعيين، وما كان للنزعة الإبداعية أن تظهر في شعره لولا ظروف حياته الاجتماعية والسياسية وطبعه المرهف، وانطوائه الشديد على التراث.

الشاعر: أنور العطار

وفي مقدمة ديوانه (ظلال الأيام) موضوع دراستنا هذه، الذي طبع عام 1367هـ - 1948م أشار الأستاذ (علي الطنطاوي) في مقدمته المسهبة للديوان إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي طبعت شعر (العطار) بطابع الأسى والحزن يقول:

«فتح (أنور) عينيه على الدنيا والحرب العالمية الأولى قائمة، ودمشق في أشد أيامها، ومظاهر البؤس والألم في كل مكان، فكان الازدحام كل صباح على الفرن، ولم يكن يفتح إلا من كوة صغيرة يبرز منها رأس الخباز ليُعطي السعيد من الناس كتلة سوداء لا يعرف ما هي على التحقيق، وإن كان يعرف أن اسمها الرغيف، والجياع ينبشون المزابل ويأكلون قشور البطيخ، والنساء يعملن من دون الرجال لأن رجال دمشق أكلتهم الحرب، واسم (جمال باشا) يملأ القلوب فزعاً، ثم رأى المشانق وشهد المآتم، فامتلأت نفسه بهذه الصور القاتمة حتى لم يبق فيها مكان لغيرها، وإذا هو رأى الأعراس والأفراح أيام الملك (فيصل) فإن هذه الأيام لم تكد تبدأ حتى انتهت، ولم نكد نستمتع بفرحة الاستقلال في حفلة التتويج حتى ذقنا غصة الانتداب في مأساة ميسلون، فلا تلوموه إن كان الحزن طابع شعره، إن الفرح فيه مثل الفجر الأول لا يكاد يبدو بياضه في الأفق حتى تبتلعه بقايا الليل فهذا هو السبب». وما أضاف إلى كلِّ تلك الآلام هو موت والده و شاعرنا في الثامنة من عمره فقط، فعاش ألم بلاده و ألم اليتم معاً ...

معالم الرومانسية في شعره:

آ- تمجيد الطبيعة:

من أبرز مظاهر الإبداعية في شعر (أنور العطار) تمجيد الطبيعة والهروب إليها من متاعب الحياة ومن إخفاقاتها، والطبيعة عند (أنور العطار) عالم من الأحلام والرؤى يمتزج بسحر جمال بيئته التي نشأ فيها، فهو ابن دمشق ونزيل غوطتها الفيحاء، و المتردد على لبنان لوحة العطر والجمال، والمقيم في بغداد المأخوذ بسحر نهريها الخالدين دجلة والفرات، ولذا احتلت القصائد التي وصف بها الطبيعة حيزاً من ديوانه الأول (ظلال الأيام) يتجاوز ثلثه، ومنها قصيدة (دمشق) ومطلعها:

دمشقُ ائتلاقُ الربيعِ الجديدِ   وإشراقةُ الفجرِ إما ابتسم

وقصيدة (بردى) ومطلعها:

بردى سَلسَلُ البقاءِ ولحنٌ   عبقري على المدى يتغنى

وقصيدته في (غوطة دمشق) ومطلعها:

عالمٌ من نضارةٍ واخضرارٍ   فاتنُ الوشي عبقري الإطارِ

وقصيدته في (دمر) متنزه دمشق ومطلعها:

كلُّ شيءٍ يحيا بدمر فالسفـ   ـحُ يغني والدوحُ يندى ويَعبق

ووصفه (الربيع) ومطلعها:

يا حبيبي أفِقْ فقد ضحاكَ الرو   ضُ وأبدى جَمَالَهُ المحجوبا

ونشيد (آذار) ومطلعه:

هلمي انظري قبلاتَ الربيعِ   على مِعْطَفِ السَهلِ و الرابية

وقصيدته الشهيرة في لبنان ومطلعها:

غابَ لبنانُ في رقيقٍ من الغيـ   ـمِ كما غابَ في مَدى اليمِّ زورق

وقصيدته الشائعة في وصف الشجرة ، التي لُحنت من قبل الموسيقار السوري (مصطفى كامل الصوَّاف) واعتمدت النشيد الوطني للشجرة في سورية، ومطلع القصيدة:

أفيضي علي شتى الصور   فأنت المرام و أنت الوطر

وقصيدته في وصف مدينة البصرة ، و مطلعها:

مدينةُ الماءِ و الرواءِ   فتنت بالحسنِ كلَّ راءِ

وأما قصيدة (الخريف) فهي قصيدة حزينة تلتقي في موضوعها وطابعها الحزين الممتزج بكآبة الشاعر وقصيدة (ميخائيل نعيمة) في العنوان ذاته، ولعل أحدهما تأثر بالآخر بل لعلهما نهلا معاً من معين الرومانسية الغربية في اختيار الموضوع ذاته والفلسفة ذاتها من حيث اتخاذ أوراق الخريف رمزاً للغناء والتجدد والموت والنشور، وأحب أن أورد تقديمه الشعري لها من ديوانه الأول (ظلال الأيام) في الأبيات التالية و التي عنونها: (ألحان أوراق الخريف):

" لا تبكنا إنّا إلى مَعَادِ
وعَيشةِ هَفْهَافَةَ الأبْرَادِ
لقد سَئِمنَا من أذى الوُرَّادِ
وحنَّتِ النفوسُ للرُقادِ
في غامِضِ السُهوبِ والوِهَادِ
ومأمَنٍ من عَنَتِ العَوادي
سَوفَ نُعيدُ فَرحةَ الميلادِ
و رَوعةَ الصِّباءِ و المِهَادِ
تَحُفُنا عِصَابَةُ الوِدَادِ
من صَادحٍ و بَاغِمٍ و شَادِ
وأنتَ يَذ روكَ الرَدَى بِدَادِ "

وقصائد (العطار) في طبيعة دمشق وغوطتها ضاحكة متفائلة يأتلق فيها الفرح والانفتاح على الحياة، وقد أُثر عن شعراء دمشق التميز في وصف طبيعة بلدهم والاعتزاز بها، وإذا كان (نزار القباني) قد تناول من الطبيعة الدمشقية عادات الدمشقيين وتقاليدهم، ومزجها بجمال دمشق، وسحر ياسمينها وجمال أزهارها، فإن الشاعر (أنور العطار) قد مهّد له الطريق لكنه وقف عند حدود الطبيعة ولم يتجاوزها إلى وصف أهل دمشق ودماثتهم وانفتاحهم على آفاق الجمال، و دمشق في شعر (العطار) تُنسي الشاعر همومه وتنفي عنه كل متاعب الحياة:

مَلاعبٌ حافلةٌ بالمُنى   مَرَاتِعٌ طَافِحَةٌ بالنغمْ
فما يعرفُ القلبُ، مَعنى الأسى   ما تَدرُكُ الروحُ طعمَ الألمْ
على كلِّ قلبٍ مُحِبٍ ربابٌ   تغني و في كلِّ ثغرٍ نغمْ

أما غوطتها فهي:

عالمٌ من نَضَارةٍ واخضرارٍ   فاتنُ الوشي عَبقري الإطارْ
ضمَّ دنيا من البشاشةِ والبشـ   ـرِ وما تشتهي من الأوطارْ
من فراشٍ على الخمائلِ حوّا   مٍ وطيبٍ من النواسمِ سارْ
وأناشيدٍ رددتها السواقي   والتفاف الأنهارِ بالأنهارْ
وحقول بالزهر مؤتلقاتٍ   من أقاحٍ و نرجسٍ و بهارْ
و ثمارٍ كأنَّها عَبَقُ الخلدِ   فأحبِبْ بها من ثمارْ
معبدٌ للجمالِ أبدعَهُ السحرُ   و وَشَّتهُ قدرةُ الأقدارْ

✳ ✳ ✳

أنتِ يا غوطتي طيوركُ ألّا   في و ألحانُ حُبها سُمّاري
طَابَ في ظلك الوريقِ مُقامي   و بأفيائهِ حَلا تسياري
كُلُّ حَقلٍ على مِهادِكِ داري   كُلُّ نَهرٍ على وِهَادِكِ جاري

... وإن المرء ليعجب من فرح الشاعر واطمئنانه ونسيانه لكآبته حين يصف دمشق وغوطتها، في حين تتجلى شكواه وأحزانه في قصائد أخرى وصف بها الطبيعة، شأنه شأن الشعراء الرومانسيين ، وكأنه اتخذ من دمشق وغوطتها عالمه المسحور يفر إليه كلما أثقلته الأحزان فهي غابه السحري وعالمه المنشود يفيء إليها من مرارة الواقع.

... وهو حين يصف نهر بردى يخالف خطته في وصف طبيعة دمشق، فبردى عنده تاريخ وعظة يحمل من تعب الزمان ما يحمله الشارع ، وهو كالح الوجه ، كئيب، جم الهموم، يجري مغيظاً محنقاً مغضباً لأن أهله أضاعوه، لكن القصيدة تجري على نغمين متوازيين، نغم حزين يمثل النهر شيخاً أتعبته العصور، ونغم مفرح في نهايتها يحكي إعجاب الشاعر بالنهر ويجعله ملاذه الأمين ، فمن النغم الحزين الكئيب قوله يصف النهر:

مُتعبُ الروحِ إنْ تذكرَ أنَّا   مُوجَعُ القلبِ إنْ تلَفَّتَ حَنَّا
ما عليه إذا جَرَى كالحُ الوجـ   ـه كئيباً جَمَّ الهُمومِ مرنَّا
بين جنبيهِ من صِراعِ الليالي   ما يُعَنِّي و ما يُهيجُ المَعَنَّى
ساربٌ في الفجاجِ ما يتروى   راكضٌ في الوهادِ ما يتأنى
ما لنهرِ الخلودِ يَجري مُغيظاً   مُحْنقاً مُترَعُ الجَوانِحِ ضَغَناً
أتَراهُ اجْتَوى الذينَ أضاعو   هُ فَوَلَّى غضبَانُ يُعرِضُ عنَّا

ومن النغم المفرح في وصف بردى قوله:

برداي الحبيبُ يا فرحةَ الرو   حِ ويا منيةَ الهَوى ما تمنَّى
يا شفاءَ القلوبِ يا كوثرَ الخلـ   ـدِ ويا مَنهلاً يناسم عَدْنا
يَدرجُ الحبُّ في حماك شهياً   كلُّ دَوحٍ يَظِلُّ قيساً ولبنى
أنتَ مني الحُلمُ الذي أتَشَهّى   أنتَ مني الشعرُ الذي أتغنى

... والشاعر (أنور العطار) لا يندمج في وصف لبنان كاندماجه في تصويره لدمشق وغوطتها، وإنما يكتفي بوصف سحره وجماله، فهو ذلك الجبال يلفعها الغيم الرقيق، والثلج الناصع البياض، وتلك القرى المخلخلة بأخبية الغيب، الضائعة في متون الغمام، والينابيع الضاحكة بين الزهر وسجع الحمام، والغابات الأنيسة التي يشده فيها الأرز والصنوبر والبحر الحالم المسروق من السماء في الأفق البعيد، هو (زحلة) وكرومها وعناقيد العنب السكر، و(صنّين) جار النسور يحط على الغيم ويسري إلى العلاء وينتشي بأغاني الرعاة، هو و بيروت النائمة على السفح تترامى على قدمي البحر مأخوذة بسحره، لكن دمشق تظل مشتهى الشاعر وأمله:

وتطلعت من مَشارف لبنا   ن أناجي من صفحة الغرب "جلَّق"
تلك مأوى رغادتي وخيالي   وبها قلبيَ الرهيف معلّق

... وفي وصفه لبغداد ودجلة، ومدينة البصرة يختار الشاعر الأوزان القصار، والكلمات الهامة الرقيقة، ويتجه جلّ وصفه إلى نهر دجلة، ويشق الطريق لشعراء الأنهار في أدبنا العربي و منهم (علي محمود طه) الشاعر العربي المصري الذي خلد نهر النيل في قصائد متداولة مغناة، وشعر (العطّار) في الطبيعة العراقية ممتزج بالحب يخلو من الشكوى والألم يعكس غبطته ويصور مرحلة من حياته المطمئنة التي غابت فيها آلامه وانفتح فيها على الحياة ، و من ذلك قوله في مدينة البصرة:

يا قلب هذا الهوى فغنّ
و هذه سدرة التمني
فاصدح ملياً بألف لحن
و جِنَّ في فرحة اللقاء

يا مهبط الوحي و الجلال
و مسرح الشعر و الخيال
و يا مطاف المُنَى الغوالي
بلا ابتداء و لا انتهاء

قد طاب في حسنها غنائي
وقأد حلا باسمها ندائي
و لذَّ في سحرها فنائي
يا بصرة الماء والرواء

ب- الحزن و الألم:

(أنور العطّار) شاعر الحزن والألم، يرفده طبع هادئ حزين، وانطواء على الذات، يعززه ما عانى في حياته ومجتمعه من نكران لشأنه، شأنه شأن الشعراء الإبداعيين، نراه دوماً و هو يمجد الألم و يجسد فيه لذته:

لقد صاغني الله جمَّ الشجون   ويأبى فؤاديَ إلا المرحْ
يبدد أحزان قلبي الرجاء   ويصحو صفائي طول الترح
أهدهد أوجاعيَ الصارخات   وأُرقدها بالمنى والملح
فطوبى لجرحيَ إمّا استفا   ض وطوبى لقلبي إمّا انجرح
تعلّمت بالنوح سر النعيم   وأدركت بالشجو معنى الفرح

ولم يكن ألمه وتعبيره عن ذلك الألم في شعره تقليداً بل كان صادراً عن ذاته وشخصيته.

يقول الشيخ (علي الطنطاوي): «ما مضى (أنور العطّار) على الطريق الذي فتحه له من قبله، بل على طريق شقه هو لمن بعده، وكان إمام جماعة من الشبان، ولم يكن مؤتماً تابعاً، ولولا نفس من شعر (شوقي) في مثل قصيدته (ليل الحزين)، وروح من رومانسية الأدب الفرنسي في شعره لقلت بأن (أنور العطار) لم يقلد في أسلوبه أحداً ».

وقد اشتق (أنور العطار) اسم ديوانه الأول (ظلال الأيام) من قصيدة الإفتتاحية الحزينة التي يستهلها بقوله:

أطوف بالغابر النائي فيحزنني   إني فرشت طريق الأمس أشجاناً
وإن طويت على غَمٍّ صَحَائفه   وإن مَرَرْتُ بحلوِ العُمُرِ أسوانا

ويبلغ حزنه مداه في قصيدته (الخريف) فيخلق من كلماتها عالماً كئيباً تتبدى فيه الطبيعة حزينة مثل حزنه، وترتسم على صفحاتها أصداء إحساسه العارم بالفناء:

همد الحقل فالعشاش خرابٌ   هجرتها على الليالي الطيورُ
فعلى ضاحك المروج اكتئابٌ   وعلى باسم الدغالِ فتورُ
وإذا الغيمُ في الفضاء ركامٌ   وإذا النهرُ مُغدرٌ محرورُ
والعصافيرُ نوَّمٌ ليس تصحو   والفراشاتُ جُثَّمٌ لا تطيرُ

والشاعر (أنور العطار) ليس بحاجة إلى أن يحدثك عن فلسفة الغناء ففي شعره تحس باللحن في أوزانه، وبالغناء في ثنايا كلماته، وما أحسب أن شاعراً استطاع أن يصف الخريف بمثل هذه البساطة العميقة، والتصوير الحافل بالإيحاء، مما يجعل قصيدته من عيون الأدب العربي، بما فيها من نفَس ملحمي وما لها من قوة تأثير في النفس و علوق في القلب. على أن انصراف (العطّار) إلى تمجيد آلامه وفراره إلى الطبيعة هرباً من العالم الذي حوله لم يصرفه من الاهتمام بشؤون الحياة، فله قصائد وطنية و قومية، منها قصيدة (الشهيد) التي يصف بها ضياع فلسطين من العرب ، و مطلعها:

يا دماءً على فلسطين سالت   من شباب زكية أعواده
من جريحٍ يودُّ لو برئَ الجُر   حُ فخاض الوغى ندياً ضِماد

إلى آخر بيت في القصيدة الذي يقول :

هكذا المجدُ أن تموت قريراً   يا شهيداً يلذّه استشهاده

... وله قصائد وجدانية في مناجاته لخالقه جلَّ جلاله، منها قصيدة (اللّه)، و مطلعها:

يا إلهي قلبي الرقيق تنهد   مذ صداك الحبيب فيه تردد

و خاتمتها البيتين الرائعين التاليين:

يا إلهي عنا لوجهك وجهي   وفؤادي من طول حمدك معبد
أنا في كوني الصغير صلاة   وسعت كونك العظيم المجود

وله قصائد دينية في مدح الرسول الكريم ﷺ، وإن كان مدحه للرسول ﷺ يقترب من المدائح النبوية التقليدية ولاسيما همزية شوقي وميميته، فهو يحاكي تلك القصائد لفظاً ومعنى:

سطعت من سناك هذي السموا   ت ورفّت بك الدنا والعوالمْ
أنت نجوى الأرواح في كل جيل   وشعاع الهدى وروح النواسم
يا سماء الجلال يا رفرف الخلـ   ـد ويا صورة النعيم الدائم
لأصوغنّ من نداك الأناشيـ   ـد وأفتنّ في ضروب الملاحم

غير أنه يستفيد من سيرة النبي الكريم ﷺ ليستعرض واقع العرب المؤلم ، وما لحق بهم في عصره من الأذى والخنوع بعد أن بنى الإسلام صروحا للمجد و الحضارة:

يا نبي الهدى لقد ذلَّت العُر   بُ وقِيدت إلى الردى بالشكائمْ
سُلبت حقّها وديس حماها   واستكانت لمستبدٍّ هادمْ
يا سماءُ اهبطي ويا أرضُ مِيدي   سَلَبّ الألأمون مَجْدَ الأكارم

ج- أسلوبه:

كان الشاعر (أنور العطار) يمثل جيل الشعراء الشبان في عصره، يعتمد في شعره على الإحساس المرهف وتخيّر الألفاظ الموحية الرقيقة، وقد لفت إبداعه الأدبي أنظار القائمين على مجلة (الرسالة) المصرية، المجلة الأدبية الرائدة والزائعة الصيت في ثلاثينيات القرن الماضي والتي كان يصدرها الأستاذ (أحمد حسن الزيات)، المجلة التي فتحت صدرها للشعراء المجددين حيث نشرت (للعطّار) قصائداً كثيرة، وعدّته مجدداً مع أنه لم يخرج في شعره عن عمود الشعر العربي الأصيل، وحافظ على صفاء ديباجته، وكان أميناً لصياغاته الموروثة، و إنما كان تجديده ينحصر في ابتداع أبنية ناعمة فيها من السلاسة والرقة والخيال الراقي والعاطفة الصادقة ما يذكرنا بشعر (البحتري)، لذا كان يوصف (العطّار) دوماً بأنه يحاكيه في أسلوبه. وقد صقلت أيضاً البيئة الدمشقية الحضرية الناعمة ذوق الشاعر (أنور)، فأسر قراءه برقة مشاعره وصفاء ذوقه وحسن تخيِّره للأفكار والأحاسيس، يصوغها بأشكال متنوعة ويسهل في تناولها ويلح عليها دون أن يقود قارئه إلى السأم أو الملل، مع جزالة في الصياغة وتمكّن في اللغة و علو في الصنعة، يرفد دوماً قريحته بالمفردات التي تقع في موقعها المناسب من شعره، فجاء شعره سهلاً ممتنعاً كما توصف البلاغة...

ويحضرني مايلي من بعض ما قرأت عن شاعرنا في مقالة نشرت في مجلة (الرسالة)تحت عنوان (نفحات من أدب دمشق) للأستاذ الأديب أحمد حسن الزَّيات:

« ... سوريا التي أنجبت أبا تمام والبحتري والمتنبي وأبا فراس الحمداني وأبا العلاء المعري، لا تزال تلد الموهوبين من عباقرة الفن والفكر، لم تعقم بهم في أي زمن، ومن بينها شاعرها غيرُ مُدَافَع أنور العطَّار ، و أصدقاء (الرسالة) لا يزالون يجدون في ذاكرتهم حلاوة ما نعموا به من روائع أدبه طيلة عشرين سنة.

و تمتعنا بما أنشده صاحب (ظلال الأيام) من شعر لم يقع في أذني مثله منذ استعزّ اللّه بشوقي، و أنا أعرف من نفسي أني بطئَ التأثر بالشعر والغناء، فلا يهزني منها إلا الرائع العالي الطبقة، فإذا طربت لما صور (العطّار) من وجوه الأرض ومجالي الطبيعة في قصائده الغر مثل: الوادي ولبنان ودمشق وبردى والخريف والمساء والظهيرة والنفسجه فالفضل للشعر الذي يملك الشعور، وللشاعر الذي ينطق الحجر، وأدب (العطّار) مثل صادق للأدب السوري الحديث، وأكثر البلاغية عليه الجزالة والسلامة والوضوح».

وقد ترجم من ديوان (ظلال الأيام) إلى اللغة الإنكليزية المستشرق (آرثر ج آربري)، إستاذ الأدب العربي في جامعة كامبريدج في بريطانيا قصيدة (بردى) نهر مدينة دمشق الخالد، والنهر الشاعر كما وصفه أنور العطار في قصيدته، و قد ضمن هذه الترجمة في كتابه (الشعر العربي الحديث- أزهار الشعر)، الذي نشر في لندن عام 1369هـ الموافق لـ1950م.

كما وترجم ذات القصيدة الى اللغة الفرنسية المستشرق (إدوارد تاراباي)، أستاذ الأدب العربي في جامعة السوربون في باريس في فرنسا، وضمنها في كتابه (مقتطفات أدبية مختارة للأدب العربي المعاصر) ونشرت في باريس 1392هـ الموافق لعام 1972م. وقد أوردت ذكر الترجمتين في الطبعة الجديدة لديوان والدي أنور العطّار (ظلال الأيام)، التي سوف يكون في المكتبات، و في متناول أيدي القراء في القريب العاجل بإذن اللّه، حيث أنه الآن قيد الطباعة.

وما أحراني في نهاية هذه الدراسة الموجزه عن الشاعر (أنور العطَّار) إلا أن أضمن ما كتب الأستاذ الشيخ (علي الطنطاوي)، صديق عمره وصباه، مقتبساً من مقدمته المسهبة لديوان (ظلال الأيَّام) في طبعته الأولى عام 1948م، يقول واصفاً ديوان (ظلال الأيام):

«وبعد فهذا ديوان الوفاء للعربية: نخل مفرداتها فاختار أطيبها، وعرض أساليبها فاصطفى أحلاها، وديوان الوفاء لأقطارها: جرى بردى منذ الأزل، وقام لبنان، فهل قال شاعر في بردى مثل الذي قال أنور؟ هل نُظم في لبنان مثل مانَظم؟ وهل يعرف القارئ في الشعر العربي كلّه قصيدة في وصف الطبيعة أعظم من (لبنان) التي أشتمل عليها هذا الديوان؟... أنا لا أبالغ ولا أغالي، وهذا الشعر العربي بين أيدي الناس، فمن عرف أعظم منه فليقل ... ولكن المعاصرة حرمان، وأزهد الناس في العالم أهله وجيرانه، وستمحص السنون هذا الشعر وهذا النثر، وتميز الزجاج من الجوهر، والنحاس من الذهب، وهنالك بعد أن يذهب الرجال، وتنقطع الصداقات والعداوات، ولا يبقى الا الأدب الذي يستحق الخلود، تعرف قيمة (لبنان) وقيمة (بردى)، وهنالك بعد أن يعفي النسيان على أسماء كثيرة تملأ اليوم الأسماع ، وتشغل الناس، يحتل اسم (أنور العطار) مكانه مع أسماء الشعراء الخالدين».

أعد هذه الدراسة : إبن الشاعر: هاني أنور العطَّار ،،،

- تنويه: أود أن ألفت إنتباه القارئ المتتبع لأدب الشاعر (أنور العطَّار) بأنه صدر العام الماضي طبعة جديدة لديوانه الأول (ظلال الأيام) موضوع دراستنا هذه، تتضمن سيرة مسهبة عن حياته، وسجلاً كاملاً عن أعماله الشعرية والنثرية، مع ذكر لبعض قصائده من دووإين هي قيد الطباعة، منها ديوان (رباعيات أنورالعطَّار- علمتني الحياة)، آخر ما نظم من شعر قبل وفاته رحمه اللّه، و هو على غرار ديوان (رباعيات عمر الخيَّام) الشهير من الأدب الفارسي.

خليل حاوي المنتصر في زمن الانتحار

شدري معمر علي - ولاية البويرة - الجزائر

قسم الجاحظ الشعراء إلى أصناف ثلاثة: شاعر وشويعر وشعرور وما أكثر الشويعرين في عصرنا وما أقل الشعراء الذين يسكنهم هاجس الشعر فيتغنون بالحب والإنسانية، لا من أجل أن ينالوا حظوة أو جاهاً بل من أجل الحقيقة الشعرية .

ومن بين هؤلاء القلائل يأتي شاعرنا خليل حاوي، الشاعر الإنسان، يقول عنه أخوه (إليا حاوي)في مقدمة كتاب (خليل حاوي في سطور من سيرته وشعره ج 1) ما يلي: «ليس باليسير التكلم عن خليل الإنسان دون خليل الشاعر ..

الشاعر والإنسان كانا فيه واحداً، كان يحيا بالشعر وكل ما ليس له صلة بالشعر كان يحمله أو يتحمله بنكد وضيم.

هذا الشعر الذي عاش من أجله حمله معاناته وذكرياته، هذه المعاناة التي اتسعت هوتها بالاجتياح الإسرائيلي للبنان، فلم يطق الشاعر صبرا فوضع حدا لحياته بالانتحار .

ولسنا ندري لماذا عظماء الأدب ينتهون هذه النهاية ؟

أرنست همنجواي صاحب (العجوز والبحر)، (ولمن تقرع الأجراس)، الأديب الياباني كواباتا صاحب رواية (حزن وجمال) والمتحصل على جائزة نوبل.

ربما هو اليأس وخيبة الأمل، يحلم الشاعر أو الأديب بعالم يسوده الاخضرار، تفوح منه روائح عطرة، بعالم مفعم بالحب والوئام، لا حرب فيه ولا قتال ولما يفتح عينيه يرى عالماً بشعاً، تمزقه الحروب والضغائن».

في قصيدة (حب وجلجلة) نجد هذه المعاناة من خلال حنينه إلى بلدته و أبنائها عبر الرموز والرؤى، يقول في تلك القصيدة:

«وأنا في وحشة المنفى مع الداء الذي ينثر لحمي
ومع الصمت وإيقاع السعال
أنفض النوم لعلي أنفي الكابوس والجن التي تحتل جسمي
وإذا الليل على صدري جلاميد
جدار الليل في وجهي وفي قلبي دخان واشتعال»

عندما يشعر الشاعر بالظلام يخيم عليه، يطويه بسواده وتشتد قبضة اليأس على قلبه الرقيق فيلجأ إلى الذكريات، يسمع من خلالها أصوات الأحبة وزقزقة العصافير عند الصبح ويرى صور الشباب والصبايا ترقص أمامه .

« آه ربي صوتهم يصرخ في قبري تعال
كيف لا أنفض عن صدري الجلاميد، الجلاميد الثقال
كيف لا أصرع أوجاعي وموتي
كيف لا أضرع في ذل وصمت
ردني ربي، أعدني للحياة
وليكن ما كان، ما عاينت من محنة الصلب
و أعياد الطغاة، غير أني سوف ألقى كل من أحببت
من لولاهم ما كان لي بعث، حنين وتمني
بي حنين موجع، نار تدوي في جليد القبر، في العرق الموات
بي حنين لعبير الأرض، للعصفور عند الصبح للنبع
لشباب وصبايا من كنوز الشمس، من ثلج الجبال»

إن هؤلاء الأحباب هم مصابيح الشاعر في دياجير الحياة، قد تقتله وحشة المنفى والداء الذي ينثر لحمه لكنهم يبقون مروجاً خضراء، سمفونية الزمن الجميل البهي المحمل بعبق الحب ، من أجلهم يتحدى محنة الصلب ويعاني الموت .

«أنتم أنتن في عمري مصابيح ، مروج وكفاه
و أنا في حبكم ، في حبكن ، وقد الزنبق في تلك الجباه
أتحدى محنة الصلب أعاني الموت في حب الحياة» (نهر الرماد:105)

ونلاحظ هنا تأثر الشاعر بالإنجيل من خلال توظيفه هذه الرموز: الصلب، الفداء .. وهذه حقيقة يعيشها الشاعر المسيحي فهو يستمد تجاربه الفنية ورؤاه من الإنجيل عكس الشاعر المسلم المهوس بالحداثة والتجريب فيترك القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي الحافل بالتجارب الشعورية والإنسانية ويلجأ إلى الأساطير الوثنية والرموز المسيحية من صلب وفداء وهذه قصيدة شعرية وجدتها في إحدى الصفحات الأدبية الجزائرية لصاحبها (ف- م) تحت عنوان: (وطن بلا وطن)

خليل حاوي

يقول: «تراني أفتش بعد الذي كان
عن وطن
صلبت كالمسيح مناه
وصودر للخائنين هواه»

فالشاعر الحقيقي لا ينغلق على ذاته فهو متفتح على التجارب الإنساني بما لا يخالفه معتقده وقيمه التي تربى عليها .

obeikandl.com